هناك في بلد فقير

ناظم حامد

التقت (الأكاديمي) الزميل ناظم حامد، التدريسي في قسم الفنون التشكيلية، في كلية الفنون الجميلة، الذي كان قد أمضى ردحًا من الزمن؛ يدرّس في إحدى الجامعات العربية، وقد توجّهتْ له مجلة الأكاديمي بسؤال عن تجربته العملية والعلمية هناك، مقارنة بالتجربة التي نحن عليها في كلية الفنون الجميلة. أجاب:

أقول، وللأسف الشديد، هناك فروق كبيرة جدًّا على المستوى الإداري والتعليمي، والأسف يتضاعف حين أقول بأنني درّست في بلد عربي فقير؛ يعتمد على المساعدات والسياحة، ولكن وكما يقول أحد عظمائنا : (عدل السلطان خير من خصب الزمان) ..

ولنبدأ من الجانب الإداري، فقد وجدت في جامعتين؛ الأولى حكومية والثانية خاصة، أن جميع الإداريين في كل الجامعات هم في خدمة التدريسيين، وعلى جميع أشكال الممارسات التي تدور في الجامعة، فهناك المنهجية و(النظام) المحدد لكلٍ من الجانب الإداري والتدريسي. وعلى سبيل المثال، حينما نأتي إلى مسألة الخدمة المقدمة للتدريسي؛ فمن حيث الأثاث يوجد هناك توصيف ثابت ومحدد لتزويد التدريسي بأثاث (مكتبه الخاص) من طاولة وكرسي وسجادة وكرسيين أمام مكتبه لاستقبال الطلبة في ساعاته المكتبية والارشادية، وهاتف أرضي مثبت بكتاب دليل هواتف منتسبي الجامعة التدريسيين والإداريين .. ويزود أيضا بجهاز حاسوب مع خط مفتوح للإنترنت، وفي مسألة تسلُّم الراتب لا يراجع التدريسي للسؤال عن راتبه وإنما يأتي ظرف مغلق ومضبب حتى لا يرى أي كان ما مقدار راتبه، حين يعرض الظرف للضوء من الخلف، ويوزع المراسل

الظروف فيتسلمها التدريسيون، وليتسلموا، من ثـَمَّ، رواتبهم من أي صراف آلي قريب من سكنهم، أو من فرع البنك داخل الجامعة، ثم تأتي مسألة تجهيز مكتب التدريسي بالقرطاسية عند كل فصل دراسي؛ من حبر طمس، وأقلام، ومساطر، وطقم الجلد لوضع الأقلام، وجلدة يضعها تحت الورقة للكتابة، وبند أوصينية ورق استنساخ، ثم يُسلم التدريسي مفتاح مكتبه الخاص، وفي أسوأ الأحوال يكون هناك زميل أو اثنان إذا كان المكتب كبيرًا، فلهم نفس الأثاث والتجهيزات. وتحاول الجامعات هناك أن تجعل التدريسي يشعر بالاحترام والتقدير .. وهناك الكثير من الخدمات المقدمة للتدريسي لا يتسع المقام لذكرها. وتسعى إدارات الأقسام، لتأسيس منهجي؛ يطبقه كل رؤساء الأقسام، لأن العملية ترجع أيضاً إلى مسألة (النظام) فمثلا يقوم رئيس القسم بفتح ملفات لجميع التدريسيين ويضعها تحت اليد في خزانة لديه تحتوي على شهادات ووثائق كل تدريسي، وعنوان التدريسي، وأرقام هواتفه، وكل ما يتعلق بمسيرته العلمية؛ من ترقيات وكتب رسمية تخص سيرته الإدارية أيضا .. ثم هناك مسألة الاجتماعات والتعليمات الجامعية والتبليغات، فتقوم سكرتيرة القسم بطبع التعميمات على عدد التدريسيين، ويسلمها المراسل إليهم بواقع نسخة لكل تدريسي، ويقوم التدريسي بحفظ تلك التعليمات والتبليغات بملف يكون تحت يديه، ويؤشر كل شيء في موعده على أوراق المفكرة السنوية التي يزود بها التدريسي مع قرطاسيته السنوية أيضا ..

أما بالنسبة لاستعمال التدريسي لمكتبة القسم أو الجامعة فإنه يُزود ببطاقة تحمل صورته، وعلى ظهرها توجد هناك حقول مقسمة إلى خانات؛ يُكتب فيها اسم المصدر أو المرجع المُستعار، وعند إرجاعه يتم شطب اسم المستعير من سجل المكتبة الألكتروني، وباختصار فإن الجامعات تلبى جميع طلبات التدريسي بشكل (ممنهج) ويحمل طابع العصرنة والحداثة، فكل شيء على الحاسوب، وحتى البحث عن اسم مصدر معين يتم بمساعدة أمين المكتبة ليخبر التدريسي إن كان ذلك المصدر موجودًا ضمن محتويات المكتبة أم لا، من أجل توفير أوقات البحث التي يقوم بها التدريسي بين عنوانات الفهارس .. كما أنَّ أجهزة الكمبيوتر توجد بعدد كبير يتناسب مع عدد طلبة القسم أو الكلية، في

مكان خاص بالمكتبة، ليستخدمها الطالب والتدريسي في أي وقت يشاء خلال دوام الجامعة..

لا أريد أن أطيل في ذكر الكثير من الخدمات المقدمة للتدريسيين ولكني أكتفي بما أراه أساسيا من حاجات الكادر التدريسي، ولا أريد أن أقارن مع ما هو موجود في كليتنا العزيزة، لعدم وجود عنوانات تقابل ما هو موجود هناك، وسأذكر، على سبيل الحصر، شيئاً واحدًا، وهو تخصيص مكتب أنيق يليق بمكانة التدريسي لكل واحد أو اثنين من التدريسيين، مقارنة بتجميع كل تدريسيينا في غرفة واحدة فقيرة في كل شيء، والأدهى من ذلك فإن تلك الغرفة لا تستوعب عدد التدريسيين إذا ما حضروا جميعًا، ولا توجد هناك أية خصوصية لأي تدريسي؛ فلا طاولة، ولاخزانة، ولا أيّ شيء من المستلزمات الخاصة بمدرّس جامعيّ، ومن المستغرب جدا أن أجد عند غالبية الإداريين، في كليتنا، مكاتب محترمة نسبيًّا، مقارنة بما هو موجود عند كل التدريسيين، ولا أريد أن أقول، دعوا الإداري في حال أقل، بل أتمنى أن يرتقي مكتب الإداري والتدريسي بما ينسجم مع دور كل واحد منهما، وبما ينسجم مع إمكانات بلد مثل العراق، علمًا بأن ما ذكرته عن التدريسي، في البلد الفقير، يدور في قسم التصميم الداخلي التابع لكلية الآداب والفنون ، تصوروا إنها امكانات قسم فحسب!

أما المحور الثاني المهم في العملية التدريسية وهو الطالب، فهناك، وعلى مستوى الجامعة الحكومية والخاصة، تـُقدم المستلزمات الدراسية، وأنا أتحدث عن مادة الرسم الحر والتلوين لطلبة غير متخصصين في مادة الرسم؛ القاعات الفسيحة المصممة أصلا للرسم، التي تضم عددًا مثاليًّا من الطلبة، وتتوفر فيها الطاولات والكراسي والإنارة الصحيحة و (البوردات) بشكل يرقى إلى مستوى ما هو موجود في الدول المتقدمة، علمًا بأن مستوى الطالب العلمي أو الفني أقل بكثير من مستوى الطالب العراقي، ولكن الفرق المهم بين الاثنين هو توفير كل ما يخص العملية الدراسية للطالب. هناك، أيضا، مقارنة مع طالبنا المحروم من التدفئة شتاءًا والتبريد صيفا، وعدم ملاءمة القاعات للأغراض الدراسية، فلا الإنارة ولا الأثاث والتجهيزات ولا العدد الموصى به من قبل خبراء الفن الأكاديميين ...

توجد هناك، في البلد الفقير، مختبرات على أعلى مستويات الحداثة، فمثلا في مادة التصميم الداخلي والتصميم الطباعي (الغرافيكي) يوجد جهاز كمبيوتر لكل طالب، وجهاز التدريسي مربوط مع كل تلك الأجهزة، لتتم عملية السيطرة والتوجيه لكل الطلبة مرة واحدة، فلا يضيع التدريسي الوقت في عملية تطبيق نظرية او فكرة أو قاعدة، عند متابعته للطلبة واحداً بعد الآخر، وليتمكن التدريسي، من جهة، أن يغطي المادة بأقصر وقت، ثم تعويد الطلبة على استعمال أجهزة الكمبيوتر في تنفيذ أعمالهم، من جهة أخرى .. وثمة مسألة أخرى تصب في عملية التدريس للمواد التطبيقية ألا وهي حرمة القاعة، فلا يُسمح لأي طالب أن يدخل القاعة إذا تأخر عن موعد الدرس أكثر من عشرة دقائق، ولا يُسمح لأي طالب من خارج قائمة طلبة الشعبة بالدخول لأية قاعة يجري فيها درس تطبيقي..

أما طبيعة الناهج فإنها تكاملية؛ تصب جميعها في حقل الاختصاص الدقيق بشكل متماسك، ويتم إفراد مساحة أوسع من حيث عدد الساعات للتخصص الدقيق، وتجري عملية التدريس أيضا بشكل منهجي ابتداءا من قيام التدريسي بتقديم مفردات مادته موزعة على ستة عشر أسبوعًا، إلى رئاسة القسم، بداية كل فصل دراسي، وهي المدة التي تمثل فصلا دراسيًا ، وبعد اطلاع مجلس القسم، يقدم التدريسي مع تلك المفردات طلبًا يبين فيه طبيعة المواد الداخلة في عملية إنجاز وتحقيق المادة العلمية؛ من مواد استهلاكية يطبق، بوساطتها، ما يشرحه نظريًا أمام الطلبة، ومن أجهزة تساعد على عملية إغناء المحاضرة، مثل عرض الشرائح أو استخدام أجهزة الكمبيوتر، واستغلال البرامج الخاصة في عرض المادة البصرية والنظرية ..

وهناك فرق جوهري ليست له علاقة بمقارنات ما يجري هناك، وما يجري لدينا، ألا وهو اختلاف (النظام) الدراسي. ففي أغلب الجامعات يُتَّبَع النظام التعليمي الأمريكي وهو (نظام) الفصول الدراسية، وقد قسموا المواد إلى مواد إجبارية ومواد اختيارية، وبالنسبة للطالب فهناك من المواد الإجبارية تمثل متطلبات الجامعة، ومتطلبات الكلية، ومتطلبات القسم، ومنها مواد التخصص الدقيق، ففي قسم التصميم الداخلي يجب أن يكمل الطالب مائة وخمسًا وثلاثين ساعة (معتمدة) حتى يستوفي شروط التخرج، ويسمح

للطالب بأن يواصل دراسة في العطلة الصيفية، أي هناك فصل صيفي من أجل تقليص مدة الدراسة، وبإمكان الطالب المُجد أن يتم دراسته في ثلاث سنوات ونصف بدلا من أربع، من خلال دراسة في الفصول الصيفية، وهناك شيء مهم ألا وهو تقسيم المواد إلى مستويات فمثلا : (رسم حر وتلوين ١) ثم (رسم حر وتلوين ٢) وحتى (المستوى ٤) بشكل تصاعدي؛ ينسجم مع تقدم الطلبة في التمكن من تقانات المادة ..، ويتم تزويد الطلبة بالخطة الدراسية للقسم، وماذا سيدرس الطالب، وتوصيف لكل مادة يدرسها الأستاذ ويقدمها إلى رئاسة القسم، كما يُزود كل طالب متقدم للقبول في الجامعة بدليل مطبوع بشكل فاخر، عن كليات الجامعة والمختبرات والأقسام، بحيث يكون الطالب على علم بكل المواد التي سوف يدرسها وكل شيء يتعلق بالدراسة .

وباختصار لا توجد هناك مصادفة، بل كل شيء بحسبان وتدبر، لأن (النظام) هناك هو سيد الموقف والأحكام .. ويبقى شيء أخير لا بد من الإشارة إليه، ألا وهو الصيانة؛ ففي كل عام تتم عملية الصيانة على الأجهزة لتحديثها، وعلى القاعات الدراسية، وحتى المرافق الصحية النظيفة الخاصة بالطلبة والخاصة بالتدريسيين من قبل مكاتب الجامعة الخدمية مثل المكتب الهندسي، وشعبة النجارة، والكهرباء، وعلى حسب خطة لا تتبع من أهواء العمال والمستخدمين بل بإشراف وتخطيط إداري وهندسي، فلا تبذير وهدر بدون نتائج، وهناك فِرَق متعهدي النظافة فكل شيء نظيف؛ القاعات ، والممرات، والساحات، وتتم متابعة هؤلاء من قبل متعهد مسؤول أمام إدارة الجامعة عن كل تقصير وحتى تقليم الأشجار يتم بتخطيط وجمال ..

وأخيرا فإني أزعم بأن ما يحصل من تقصير ما هو إلا نتيجة للنظرة القاصرة والإهمال الناجم عن جهل دور الفن والفنان الخطير في تنمية وجدان المجتمع، من قبل رئاسة الجامعة ووزارة التعليم العالي والحكومة. ولنتحرَّ كلمات أحد عمالقة الفكر والفن: " لقد أضحى بيناً بشكل متزايد بأن للفن وظيفة بايولوجية وسوسيولوجة مهمة في حياة الإنسان " (١) ولنتأمل كلمات الرابطة الدولية للفنون: " إنَّ الفنانين ، شاؤا أم أبوا ، هم مربون، ومن خلال رؤية الفنان، يتعلم الآخرون النظر " (٢)

١. حاضر الفن ، هربرت ريد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، ط ٢ ١٩٨٦- بغداد .
٢. نشرة الرابطة الدولية للفنون – عام ١٩٧٦ .

مكتبة كلية الفنون الجميلة الواقع وتصورات المستقبل

تلعب المكتبة دوراً مهماً وفاعلاً في الحركة الثقافية بصورة عامة وتكون أكثر أهمية عند تعلق الأمر بالثقافة الجامعية ، لكونها أحد الأركان الأساسية و الروافد المهمة في اغناء التحصيل المعرفي العلمي و الثقافي للطلبة . ومن هذا المنطلق تأتي ضرورة ايلاء الأهمية للمكتبات الجامعية ورفدها بالمستجدات في ميادين الثقافة و العلوم والارتفاع بمستوى أدائها والإفادة من التكنولوجيا في هذا المجال.

وهكذا ينبغي لمكتبة كلية الفنون الجميلة أن تكون صرحاً من الصروح الثقافية التي يلجأ إليها طلبة الدراسات الأولية والعليا للحصول على ضالتهم من المصادر والبحوث لاغناء مسيرتهم الفنية باعتمادهم المعرفة العلمية و الثقافية التي توفرها لهم هذه المكتبة.

وليس جديداً القول إن هذه المكتبة بوضعها الحالي وبعد الدمار الذي تعرضت له باحتراق جميع محتوياتها ، أصبحت بائسة في كل شيء بدءاً بأعداد وأنواع الكتب والمصادر ، مروراً بنقص واضح في التجهيزات والأثاث ،وانتهاءً بالموظفين العاملين فيها من ذوي الخبرة و الذين لا يتجاوزون الآن ثلاثة موظفين لا يتمكنون من تقديم ابسط الخدمات أمام الزخم الهائل للطلبة والباحثين . الأمر الذي يؤدي ، باستمرار، إلى فوضى في طريقة استعارة الكتب . ناهيك عن الابتعاد كلية عن استخدام التقنيات الحديثة وأجهزة الحاسوب في تصنيف الكتب وفهرستها وتوثيقها وترقيمها وبرمجة إعارتها . أما الأقراص الليزرية التي تخص الرسائل و الاطاريح الجامعية فحدث ولا حرج ، حيث تتكدس داخل صناديق كارتونية ، يعلوها التراب وبدون أي تنظيم أو ترتيب.

وبغية تجاوز هذا الواقع المؤلم فانه من الضرورة ايلاء هذه المكتبة الأهمية اللازمة للارتفاع بمستوى أدائها في تقديم الخدمات للطلبة ، وكما يفترض بها أن تكون. وذلك برفدها بعدد من الموظفين وإعادة تنظيم قاعة الإعارة ومخازن الكتب، وإدخال المكننة الحديثة ، باستخدام أجهزة الحاسوب لغرض تقليل الجهد المبذول وضمان دقة وفاعلية الإعارة ، وتحقيق بعض طموحات الطلبة في فتح قاعة مطالعة لطلبة الدراسات العليا ، بصورة مبدئية تجهز بعدد من الحاسبات ، وتوفير خزائن خاصة لحفظ الأقراص الليزرية سواءً للكتب أو للرسائل والاطاريح والبحوث . وصولاً إلى مرحلة توفير خدمة الانترنيت للباحثين من التدريسيين و الطلبة . وبهذا نكون قد بدأنا الخطوة الأولى نحو المكتبة الالكترونية المعتمدة في غالبية دول العالم.

((تنويـــــــــه))

نود أن نشير إلى أن العنوان الصحيح للبحث الموسوم

(الفلم التلفزيوني وأفلام الفيديو – دراسة مقارنة)
والذي نشر في العدد ٤٨

هو (الفلم التلفزيوني وأفلام الفيديو .. تشابه في الشكل و اختلاف في التقنية) فإلى ذلك اقتضى التنويه

هيئة تحرير المجلة